

تاريخ القبول: 2025/11/07

تاريخ الإرسال: 2025/09/19

تاريخ النشر: 2025/11/30

معالم التفسير الشفوي في الجزائر
الشيخ عبد القادر عثمانى- أنموذجاً

Signs of oral interpretation in Algeria Sheikh Abdelkader El Othmani as an example

¹ - وليد حمزه ؛ ² - ابن عبد الرحمان أحمد،

جامعة أدرار (الجزائر)؛ Hamza.oualid@univ-adrar.edu.dz

جامعة أدرار (الجزائر) ، ibanabderahman@univ-adrar.edu.dz

مخبر الدراسات الشرعية والتراثية - كلية العلوم الإسلامية -

المخلص:

يتناول البحث معالم التفسير الشفهي في الجزائر بتتبع تعريفه لغةً واصطلاحاً وبيان الفروق المنهجية والوظيفية بينه وبين التفسير المؤلف. يستعرض البحث نماذج جزائرية تاريخية وحديثة لتدريس تفسير القرآن شفهيًا، ثم يقدم ترجمة علمية وتحليلًا لمنهج الشيخ عبد القادر عثمانى- الذي ختم تفسيره شفهيًا بين 1981م و2004م، مبيّنًا خصائص منهجه، وموضحًا استفادته من اتجاهات تفسيرية معاصرة (موضوعي وتحليلي وعقدي). يخلص البحث إلى أن التقليد الشفهي في الجزائر ثريٌّ ومؤثر، وأن منهج الشيخ عبد القادر عثمانى- تميّز بالبساطة والواقعية مع تركيز خاص على آيات التزكية.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الشفهي، الجزائر، عثمانى، قرآن، منهج.

Abstract:

This paper explores the features of oral Qur'anic exegesis in Algeria, beginning with its linguistic and technical definitions and clarifying the methodological and functional differences between oral and written exegesis. It reviews both historical and contemporary Algerian models of oral Qur'an teaching, and provides a scholarly biography and analytical study of Shaykh 'Abd al-Qadir 'Uthmani, who completed his oral tafsir between

1981 and 2004. The paper highlights the distinctive features of his methodology and his engagement with contemporary exegetical approaches (thematic, analytical, and doctrinal). The study concludes that the oral tradition of tafsir in Algeria is rich and influential, and that Shaykh ‘Abd al-Qadir ‘Uthmani’s approach was characterized by simplicity and realism, with a special emphasis on verses of spiritual purification.

Keywords: Tafsir, Oral, Algeria, ‘Uthmani, Qur’an, Methodology.

1. مقدمة:

يأتي هذا البحث ضمن الجهود العلمية التي تسعى إلى دراسة ظواهر التفسير وطرائق إيصال معاني القرآن الكريم للناس، ويتناول بالبحث موضوع التفسير الشفهي، وهو أقدم أنماط التفسير وأوسعها انتشاراً في الأمة الإسلامية.

وتتطلب هذه الدراسة من إشكالية مركزية هي: ما المقصود بالتفسير الشفهي؟ وكيف تجلّت هذه المعالم في تجربة مفسّرين جزائريين، وأنموذجاً في ذلك الشيخ عبد القادر عثمانى-؟

ومن هذا المنطلق يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف المتصلة بمضمون المادة المتوفرة فعلياً، وهي:

- ضبط مفهوم التفسير الشفهي.
- إبراز الفروق بين التفسير الشفهي والتفسير المؤلّف (الكتابي).
- عرض نماذج من المفسّرين الجزائريين الذين مارسوا التفسير الشفهي عبر العصور، سواء قبل ابن باديس أو في عصوره وما تلاها.
- تقديم ترجمة علمية لشيخنا المختار أنموذجاً (الشيخ عبد القادر عثمانى-)، والوقوف على مناهجه وأدواته التفسيرية في دروسه الشفوية.
- استقصاء توظيفه لبعض اتجاهات التفسير المعاصرة (التحليلي، الموضوعي، العقدي...)، وبيان أثر ذلك تربوياً وإصلاحياً.
- وللإجابة عن الإشكالية المطروحة؛ فقد تطلب البحث انتهاج منهجين اثنين المنهج التحليلي، والمنهج الوصفي.

وللإحاطة بالبحث من جميع جوانبه فقد جعلناه في مبحثين يسبقهما مقدمة ويليهما خاتمة، كالتالي:

- مقدمة: عرضنا فيها الإشكالية الدافعة إلى بحث الموضوع، وأهدافه والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث.
- المبحث الأول: مفهوم التفسير الشفهي: وفيه تم التعريف بالتفسير الشفهي لغويا وإصطلاحيا، وبيان الفرق بينه وبين المكتوب، وعرض جملة من المفسرين الجزائريين الذين انشغلوا بتفسير القرآن الكريم تدريسا.
- المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر عثمانى- ومنهجه في التفسير: وفيه ترجمنا للشيخ أولا، ثم عرضنا منهجه في تدريس التفسير عموما، وختمنا المبحث بذكر بعض اتجاهات التفسير المعاصرة التي مشى عليها.
- خاتمة: تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث، وأبرز التوصيات.

2. المبحث الأول: مفهوم التفسير الشفهي

1.2 المطلب الأول: التعريف بالتفسير الشفهي

التفسير الشفهي مصطلح مركب من التفسير والشفهي لذا نعرف هذه المصطلحات:

1.1.2 الفرع الأول: تعريف التفسير

لا شك أن الوصول إلى أي مفهوم اصطلاحى يتطلب المرور عبر معناه اللغوي، وقد تنوعت أقوال أهل اللغة في معنى (التفسير)، فقال ابن منظور في لسان العرب: "الفسر: البيان. فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسراً وفسره: أبانه، والتفسير مثله... والفسر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل."

وقال ابن فارس في المعجم: "الفسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه. من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته."

وقيل: "هو مأخوذ من قولهم: فسرت الحديث، أفسره فسراً؛ إذا بيّنته وأوضحته. وفسرته تفسيراً؛ كذلك."

وقريب منه قول الفيروزآبادي: "الفسر: الإبانة، وكشف المغطى."

وقال الخليل في (باب السين والراء والفاء معهما): "الفسر: التفسير وهو بيان

وتفصيل للكتاب، وفسره يفسره فسراً، وفسره تفسيرا."

فمُجملُ أقوالهم إذن تدور حول الإبانة والكشف والإظهار .

والجدير بالملاحظة من التعاريف السابقة أن التفسير يُستعمل لغةً في الكشف والبيان الحسّي، وفي الكشف والإظهار عن المعاني المعقولة، وهو في الثاني أكثر استعمالاً. وعلى المعنى اللغوي للفظ (التفسير) بنى العلماء تعاريفهم الاصطلاحية له، فقال ابن جزي بأنه "شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نجواه".

وعرّفه الزركشي أنه "علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ ومعانيه واستخراج أحكامه وحكمه". وقريب منه تعريف السيوطي. وعرفه الزرقاني بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام". وعرفه أيضاً بقوله: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية".

وعرفه أبو حيان بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الفردية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتنمات لذلك".

2.1.2 الفرع الثاني: تعريف الشفهي

قال ابن فارس: "... وأما الشفة فقد قيل فيها إن الناقص منها واو يقال: ثلاث شفوات، ويقال رجل أشفى، إذا كان لا ينضم شفاته، كالأروق... وقال قوم: الشفة حذفت منها الهاء، وتصغيرها شفيهة، والمشافهة بالكلام، مواجهة من فيك إلى فيه. ورجل شفاهي: عظيم الشفتين، والقولان محتلمان، إلا أن الأول أجود لمقاربة القياس الذي ذكرناه، لأن الشفتين تشفيان على الفم."

فتحصل أن يقال تفسير شفهي أو شفوي، وعليه إذا كانت النسبة إلى المفرد شفة؛ كان القول تفسير شفهي أو شفوي، فالإطلاق الأول قياسي، أما الثاني فهو سماعي، والسماعي قد يرقى إلى درجة القياسي بسبب.

2.2 المطلب الثاني: الفرق بين التفسير المؤلف والشفهي

يمكن إجمال الفروق بين التفسير الشفهي والتفسير الكتابي في جملة من النقاط المنهجية، أبرزها:

1. **السبق الزمني:** التفسير الشفهي أسبق ظهوراً من التفسير الكتابي، إذ كان النبي ﷺ أول من فسر القرآن شفويّاً.
2. **الهيئة والمكانة:** للتفسير الشفهي وقع وهيبة خاصة، تعكسها مكانة الشيخ أو المفسر بين علماء عصره وبلده.
3. **قوة التأثير:** الدرس الشفهي أبلغ أثراً من المكتوب المقروء، لأنه يخاطب جميع فئات المجتمع على اختلاف مستوياتهم.
4. **مراعاة دلالة النص للسامعين:** المفسر شفويّاً يراعي دلالة النصوص بالنسبة للحضور، بخلاف كثير من التفاسير المكتوبة التي تصاغ بطريقة عامة مجردة.
5. **التيسير ومراعاة حال المتلقي:** يغلب على المفسر شفويّاً أن يبسر عبارته ويبسط معانيه بما يلائم مقتضى حال السامعين، وإن كان ذلك موجوداً في بعض التفاسير المكتوبة إلا أنه في الشفهية أوضح وأغلب.
6. **الاجتهاد في شد الانتباه:** يحرص المفسر شفويّاً على تنويع أسلوبه لجذب الانتباه ودفع الملل الذي قد يطرأ على بعض المجالس، بخلاف المفسر كتابياً الذي يسير على منهج مقرر في مقدمة كتابه، ويترك للقارئ حرية اختيار ما يناسبه من مباحث.
7. **كثرة الاستطراد:** يكثر المفسر شفويّاً من الاستطراد بحسب ما تقتضيه طبيعة المجلس والأسئلة المثارة، بينما يلتزم المفسر كتابياً بخطة بحث محددة ومنهج تأليف مضبوط.
8. **معالجة قضايا العصر:** يركز المفسر شفويّاً على القضايا الراهنة والمسائل المطروحة في زمنه، بينما يحرص المفسر كتابياً على صياغة مادته لتكون صالحة للقراءة من المعاصرين ومن يأتي بعدهم.
9. **الرد على الانحرافات الفكرية:** يستغل المفسر شفويّاً مجالسه لتصحيح المفاهيم ومعالجة الانحرافات الفكرية التي يلحظها في عصره، وهو ما لا يتأتى بنفس الدرجة في التفسير الكتابي.
10. **الاقتصار على الأهم وتجنب الإملال:** يميل المفسر شفويّاً إلى الاختصار في عرض الخلافات وتعدد الأقوال؛ تجنباً لإملال الحاضرين، بخلاف التفسير الكتابي الذي يورد الأقوال على نحو موسع ليفيد القارئ المتخصص.

3.2.2. **المطلب الثالث: نماذج من الجزائريين الذين فسروا القرآن الكريم شفهيّاً¹**

إنَّ ختم القرآن الكريم تفسيراً شفوياً يعدّ منقبة علمية كبرى، ومظهراً من مظاهر خدمة كتاب الله تعالى وتعظيمه، وهو تقليد راسخ في البيئة العلمية الجزائرية منذ قرون. فقد عرفت الجزائر في حواضرها الكبرى وزواياها العريقة حلقات منتظمة لتفسير القرآن الكريم، كان العلماء يتعاهدون فيها كتاب الله بالبيان والشرح، ويختمنونه على مدى سنوات طويلة من التعليم والمثابرة. وفي هذا المطلب نعرض نماذج من هؤلاء الأعلام قبل الإمام عبد الحميد بن باديس وبعده، ثم نختم بذكر أبرز المفسرين المعاصرين الأحياء، ليتضح كيف ظلت هذه السلسلة العلمية متصلة عبر الأجيال.

1.3.2 الفرع الأول: النماذج السابقة لابن باديس

• **أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 771هـ):** يُعدّ الشريف التلمساني من أقدم من عُرف بختم القرآن تفسيراً في المغرب الأوسط، إذ جعل تفسير كتاب الله مشروع حياته العلمي، فعكف على دروس التفسير مدة ربع قرن كامل، وكان يفسر ربع حزب يومياً بلا انقطاع. وقد اتسمت دروسه بالصرامة العلمية والعمق اللغوي، حيث برع في الإعراب والقراءات وضبط المعاني، ما جعل مجلسه قبلة للعلماء والطلبة، بل وحتى الملوك وشيوخ الزوايا الذين كانوا يحضرون للاستفادة. وصل في التفسير إلى الآية 171 من سورة آل عمران، فمرض نحو ثمانية عشر يوماً ثم مات².

• **مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 851هـ):** كان - من علماء الجزائر الذين اشتهروا بالجمع بين التدريس والتأليف، فقد اعتمد في حلقاته على تفسير ابن عطية؛ يقرأه على الطلبة ويشرحه، ثم لم يكتفِ بذلك بل اختصره وصنف كتابه (الجواهر الحسان) ليكون زاداً مختصراً للطلبة، ثم أتم به ختم القرآن الكريم كاملاً³.

• **أبو عبد الله التلمساني الحسني (ت 895هـ):** حيث كان يعد من كبار علماء تلمسان

عصره، ومما ذكر عنه أنه لما وصل إلى تفسير سورة الإخلاص وعزم على قراءتها يومًا والمعوذتين
سمع بها الوزير وأراد الحضور، فبلغه ذلك فقرأ السور الثلاثة يوماً واحدا خيفة حضور الوزير عنده⁴.

• **محمد بن خليفة الجزائري (ت 1094هـ):** كان ابن خليفة من أبرز علماء العاصمة، حيث خصص دروساً منتظمة في الجامع الأعظم، وختم فيها القرآن تفسيراً قبل وفاته⁵.

1.3.2 الفرع الثاني: الإمام ابن باديس والنماذج اللاحقة له

• **عبد الحميد بن باديس (1889-1940م):** أعاد ابن باديس الاعتبار لمجالس التفسير بعد فترة ركود طويلة، فبدأ دروسه سنة 1914م بالجامع العتيق (الأخضر) بقسنطينة بعد صلاة الفجر، واستمر فيها خمساً وعشرين سنة كاملة حتى ختم القرآن يوم 12 جوان 1938م. وقد اتسم منهجه بالجمع بين التحليل اللغوي والشعري، واستخراج المعاني التربوية والإصلاحية، فكان يربط بين النص القرآني وواقع الأمة، ويبعث في النفوس روح المقاومة ضد الاستعمار. وتم جمع هذه الدروس في كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير الذي صار مرجعاً في التفسير الإصلاحي⁶.

• **العربي التبسي (ت 1376هـ):** كانت دروسه في تفسير القرآن الكريم بالجامع الكبير بمسقط رأسه مدينة تبسة إلى أن ختمه في آخر سنة 1956، كان ذلك قبل استشهاده ببضعة أشهر فقط.

وقيل إن تدريسه للتفسير دام اثنين وعشرين سنة، كان يبدأ تفسيره بال سور القصار وتنقل منها إلى أن أتم تفسير سورة البقرة⁷.

• **محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965م):** واصل الإبراهيمي رسالة ابن باديس في التعليم القرآني، وكان يلقي عشرة دروس يومياً، منها درس للتفسير بين المغرب والعشاء. وتميزت دروسه بالعمق التحليلي والربط بين القرآن وقضايا التحرر الوطني، حتى أصبحت مجالسه منابر لتعبئة الأمة وبعث روح النهضة فيها⁸.

• **إبراهيم بيوض (ت 144هـ):** يعد الشيخ بيوض عميد الحركة الإصلاحية الإباضية، وقد أطلق مشروعه التفسيري سنة 1950م بمدينة القارة بغرداية، واستمر فيه أربعين سنة متواصلة حتى ختمه في حفل رسمي حضره العلماء والوجهاء وطلبة العلم⁹.

• **عبد المجيد بن علي حبة (ت 1992م):** قام بتفسير القرآن كاملاً في جامع عقبة بن نافع ببسكرة بين سنتي 1940 و1952م، وكانت دروسه مقصداً لطلبة العلم وأعيان المنطقة، وتميزت بالجمع بين شرح المعاني وتوجيه الناس توجيهاً إصلاحياً¹⁰.

• **بالحاج بن عدّون قشار (1924-1996م):** بدأ تفسير القرآن سنة 1956م ببلدة بنورة بغرداية، واستمر فيه أربعين سنة حتى ختمه في سنة وفاته، ما يعكس طول نفسه وصبره على خدمة القرآن¹¹.

• **عبد الرحمن شيبان (1918-2011م):** داوم على إلقاء الدروس في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، في المساجد، والمراكز الثقافية في العاصمة وغيرها من ولايات الجزائر¹².

• **أبو بكر جابر الجزائري (1921-2018م):** خدم القرآن من خلال دروسه في المسجد النبوي بالمدينة المنورة على مدى نصف قرن تقريباً، وختم فيها التفسير أكثر من مرة، ثم جمعها في كتابه أيسر التفاسير إلى كلام علي الكبير الذي أصبح مرجعاً للتدريس والدعوة¹³.

• **محمد الطاهر آيت علجت (ت 2023م):** بدأ الشيخ الطاهر دروس التفسير منذ السبعينات، واستمر فيها عقوداً طويلة حتى ختم القرآن سنة 2015م، ثم جمعها في أربعة عشر مجلداً بعنوان نفحات الرحمن في رياض القرآن، وهو مشروع ضخم يجمع بين الأصالة والعمق وسهولة الأسلوب¹⁴.

• **الشيخ التواتي بن التواتي (مواليد 1943م):** اشتهر بدروسه التعليمية والوعظية، وكان من أهمها دروسه في التفسير ألقاها في المساجد، ثم جُمعت في كتاب كبير في التفسير موسوم بالدر الثمين في تفسير الكتاب المبين في 20 مجلد.

• **الشيخ محمد كعباش (مواليد 1929م):** بداية من سنة 1972م بدأ ينتقي لجمهور الآباء والأمهات من عمار المسجد العتيق بعض آل سور القصار لتفسيرها وبيان فضلها ومعانيها، وبعد إتمام تفسير هذه السور شرع في تفسير القرآن الكريم كاملاً من سورة الفاتحة إلى سورة الناس في دروس منتظمة من سنة 1985م، والذي أسماه: "نفحات الرحمن في رياض القرآن"، إلى أن أتم تفسيره سنة 2015. ثم بعد ذلك حرره في تفسير، يقع في أربعة عشر مجلد إضافة للفهارس المتنوعة¹⁵.

ولا تزال جهود عدد من الأئمة والدعاة المعاصرين في ولايات متعددة تواصل هذا التقليد، سواء عبر دروس المساجد أو البرامج الإذاعية والتلفزيونية، مما ساهم في تعزيز الثقافة القرآنية وإحياء مجالس التفسير في المجتمع الجزائري.

3. **المبحث الثاني: الشيخ عبد القادر عثمانى- ومنهجه في التفسير**

1.3 **المطلب الأول: ترجمة الشيخ عبد القادر عثمانى-16 ومنهجه العلمي في التفسير**

هو عبد القادر عثمانى شريف النسب حسني يصل نسبه إلى النبي ﷺ، فهو عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان بن علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن الموفق بن عمر بن أحمد بن علي بن عثمان بن يوسف بن عمران بن يونس بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن علي بن أحمد بن حسين بن سعد بن يحيى بن محمد بن يوسف بن لقمان بن علي بن مهدي بن صفوان بن يسار بن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ولد في طولقة سنة 1348هـ الموافق لـ 1929م، من العائلة الشريفة (عثماني)، وهي عائلة مشهورة بطولقة وهي عائلة سيدي علي بن عمر وما أدراك ماهي هي (ولا غرو)؛ العائلة التي انبثق من أرجائها نسور العلم والعرفان على نواح شتى من أنحاء القطر الجزائري، بل والقطر التونسي ومصر أيضا، ولقد كانت بلدة طولقة على صغرها وانحيازها مقصدا للراغبين في الاغتراف من معين العلم بالزاوية.

عاش الشيخ في بيئة كلها ورع وتقوى وصلاح، كيف لا وأسرته من آل البيت يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:33].

كان الشيخ عبد القادر عثمانى شخصية دينية عربية جزائرية بأتم معنى الكلمة. كان ورعا متمسكا بدينه كل التمسك، معتادا به كل الاعتداد، معتزا بشخصيته الإسلامية الجزائرية، شامخا بها لا يرضى عنها بديلا.

كان الشيخ- نموذجا مثاليا للمسلم الصالح، اهتم بالعلم والعلماء ويولي عناية كبيرة للقرآن والحديث الشريف وعلومهما وبقي هذا دينه ودين خليفته من بعده نجله الشيخ سعد إلى يومنا هذا.

تلقى- دراسته كلها في الزاوية المذكورة، وأتم حفظ القرآن الكريم كاملا وهو في سن الحادية عشرة على الشيخ المقرئ مليكي ناجي بن عزوز، ودرس علوم الفقه والنحو والتفسير والبلاغة والعروض على العالم المتفطن إبراهيم بن الحسن البوزياني ضيف الله الذي كان من كبار شيوخ الزاوية المدرسين، كما تلقى الفقه كذلك والمنطق والفرائض على أخيه الشيخ عبد الرحمان عثمانى صاحب كتاب الدر المكنوز، وأخذ أيضا النحو والبيان على الشيخ المفتي العباس عثمانى، كما تتلمذ أيضا لأساتذة أكفاء آخرين مثل

الشيخ المدرس محمد الدراجي والشيخ الشاعر عبد الله بن المبروك عثمانى الطولقي
دفين المدينة المنورة.

بعد تخرجه وتمكنه من هذه العلوم تولى منصب الإمامة سنة (1974-1972)،
وبعد وفاة شيخ الزاوية عبد الرحمان عثمانى سنة 1966م وقع التعيين والاختيار على
الأستاذ عبد القادر خلفا لأخيه.

وحين تولى- مشيخة الزاوية العثمانية، قام بواجبه نحو الزاوية أحسن قيام، وعمل
فيها بجد نادر تم من خلاله مواصلة إقامة الصلوات فيها وتحفيظ القرآن للطلبة وتدریس
العلوم الشرعية لهم واستقبال الضيوف والباحثين من شيوخ وأساتذة ومحققين وطلبة
جامعيين وغيرهم حيث يبقون في ضيافة الزاوية حتى يتم لكل واحد منهم هدفه المنشود
في مكتبة العائلة العثمانية الزاخرة بأنواع الكتب المطبوعة المفيدة والمخطوطات النادرة.

كما تولى- رئاسة المجلس العلمي بنظارة الشؤون الدينية في بسكرة في سنة 1993م
ثم عين عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1998م

ساهم- في الحركة العلمية والدينية والثقافية برصيد ثري متنوع وهذه بعض آثاره:
ساهم في تحرير فصول الكتب المدرسية في مادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية
لمرحلتي المتوسط والثانوي، في سلسلة: المختار في قواعد اللغة العربية. والمختار في
التربية الإسلامية.

تولى رئاسة المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية بولاية بسكرة سنة 1993، وعين
عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1998، وما لبث أن لزم بيته منذ ظهور
الوباء سنة 2019 ثم خرج من اعتكافه ورجع للتدريس في عيد الأضحى سنة 2022.

من أجل أعماله ختمه لتفسير القرآن الكريم ابتداء من 1981 وختمه يوم الجمعة
19 صفر 1425هـ الموافق ل 09 أبريل 2004م، ولكنه كان شفويا ولم يسجل لا
صوتيا ولا ورقيا¹⁷. أبان خلال تفسيره عن معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه
لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه
من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته وظاهر ملاحظته، فإنه فيه
الغاية التي ينتهي إليها، والنهاية التي يُعول عليها. ولقد كان إذا قرئ في مجلسه آيات
من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها.

درس من الكتب متن ابن عاشر، ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ورسالة الفلك للإمام محمد بن يوسف السنوسي.

وكان يهتم بالسيرة النبوية، وكتب عنها وعن الإسراء والمعراج وعن المولد النبوي. وكتب عن تراجم الشيخ خليل صاحب المختصر، وعن سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري صاحب طريق الرحمانية وعن الشيخ شيبان عبد الرحمان.

كانت للشيخ عبد القادر عثمانى علاقات ولقاءات بمجموعة من العلماء حيث التقى سنة 1953م بعد عودته من أداء فريضة الحج بالشيخ محمد الخضر بن الحسين (1876-1958م) شيخ الأزهر في ذلك الوقت. وزيارته إلى الشيخ زين العابدين بن الحسين (1888-1977م) الفقيه اللغوي شقيق العلامة محمد الخضر الحسين بدمشق. ومن الشخصيات العلمية التي كانت له معهم علاقات وطيدة الشيخ متولي الشعراوي (1911-1998م) والذي حضر في افتتاح وتجديد مسجد الزاوية سنة 1968م وألقى محاضرة مطولة.

كذلك علاقته بالشيخ عبد الحليم محمود (1910-1978م) شيخ الأزهر، وكان بينهما مراسلات علمية عديدة.

توفي- يوم الثلاثاء 02 رجب 1444 من هجرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الموافق 24 جانفي 2023 ميلادية في جو جنائزي مهيب وبقلوب مؤمنة راضية بقضاء الله وقدره دفن جثمانه الطاهر صباح يوم الأربعاء 25 جانفي 2023 بروضة أسرته الكريمة بجوار ضريح الشيخ الجليل علي بن عمر ولد الشيخ عبد القادر بن الحاج بن علي بن عثمان بن علي بن عمر بن أحمد بن الموفق من سلسلة النسب الشريف.

2.3 المطلب الثاني: منهج الشيخ عبد القادر عثمانى- في التفسير

إن المهتمين بتفسير كتاب الله وفهمه لا يمكن لهم أن يغفلوا عن مجموع الأصول الضابطة لهذا الباب الهام، والحديث عن مقتضيات فهم وتفسير القرآن الكريم عند الشيخ عبد القادر عثمانى- هو جزء لا يتجزأ عن البحث في أصول التفسير، والذي تابع منهج الشيخ من خلال دروسه الشفهية وكذا الأوراق التي كان يحضر منها، وسنعرض منهجه- من خلال استقراء ما كتبه وما ألقاه شفها.

أولاً: التركيز على الجانب التزكوي الأخلاقي:

كان مما دأب عليه الشيخ- والتزم به هو الاطناب في الحديث عن مكارم الاخلاق، وكذا التركيز على الجانب المعاملاتي في كل دروسه، ومنها عند تفسيره قول الله تعالى: "(...وَلَا تُبْذَرُ تَبْذِيرًا) [الإسراء: 26] تنبيهه عن المخالفات في الأعراس والجنائز وذهاب الحجاج واستقبالهم وما يكون من تبذير وإسراف في الإطعام والمصاريف غير المشروعة.

وأما في الجانب الأخلاقي فقد كان يتوسع في الحديث عن الصدق، والتحذير من الكذب، ويأمر بالعدل وينهى عن الظلم ويوصي كثيرا ببر الوالدين والإحسان إلى الجار، وتوقير الكبير والعطف على الصغير وغيرها من مكارم الأخلاق.

ثانيا: تفسير القرآن بالقرآن:

لقد كان الشيخ- آية في الحفظ والاستدلال بالقرآن وكأنما يُعرض أمام عينيه صفحة صفحة ومن ذلك تفسيره للظلم (سيأتي لاحقا).

ثالثا: تفسير القرآن بصحيح السنة¹⁸:

وهذا ما أكد عليه الشيخ- كغيره من أئمة التفسير، إذ لا يُصار إلى غير الصحيح بوجود الصحيح، ومنها عند تفسيره لقوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: 23] استدلال بواقعة ابن عمر ؓ حينما قال له رسول الله ﷺ طلقها.

ولكن الشيخ كان أحيانا يذكر الحديث بالمعنى لأنه بصدد التدريس للعوام وليس لطلبة العلم المتخصصين.

رابعا: الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين:

ومن ذلك حين وصل قول الله تعالى: (وَلَا تُبْذَرُ تَبْذِيرًا) (26) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) [الإسراء: 26-27] استدلال بقول سيدنا عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس يقول، التبذير هو الإنفاق في غير حق، ويقول مجاهد المفسر التابعي المعروف، لو أن رجلا أنفق ماله كله في الحق لم يكن مبذرا.

خامسا: الأخذ بمطلق اللغة:

فلطالما وظف الشيخ- اللغة في تفسيره، ففي قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) [الإسراء: 23] قال:

القضاء هو الأمر لقوله تعالى: وقضى ربك

والقضاء الخلق لقوله تعالى: "فقضاهن سبع سماوات
والقضاء بمعنى الحكم لقوله تعالى: "فاقض ما أنت قاض...
والقضاء بمعنى الفراغ لقوله تعالى: "قضى الأمر...
والقضاء بمعنى الإرادة لقوله تعالى: "إذا قصة أمرا...
والقضاء بمعنى العهد لقوله تعالى: "وما كنت بجانب الغربي...
سادسا: مراعاة السياق:

واعتباره بهذا الضابط ظاهر خلال تفسيره لكلام الله تعالى، لأن الكلمة الواحدة قد
ترد في القرآن لعدة معان. ولكن هذا الضابط مرتبط بثلاثة أمور هامة:
• إنما يتحدد المعنى المراد من بعض الكلمات بحسب السياق.
• أحيانا لا يكون السياق قاطعا، فلهذا قد تحتل الكلمة أكثر من تفسير.
• أن مما يدخل أيضا في مراعاة السياق، ورود الشيء الواحد بألفاظ عدة، وهذا ليس من
باب الترادف، وإنما هو التعبير عن الشيء الواحد بألفاظ مختلفة.
سابعا: ملاحظة أسباب النزول:

فمعرفة أسباب النزول من أهم معالم فهم وتفسير القرآن العظيم عنده، مع مراعات
بعض الضوابط التي نسوغها في النقاط التالية:
• أن سبب النزول سبيل يقودنا لفهم المعنى القرآني.
• أن ما صح من أسباب النزول قليل جدا، ولهذا ينبغي على المفسر الاستيثاق من صحة
السبب.
• أن من أسباب النزول ما يزيل إشكالا.
• أن من أسباب النزول ما يكون به معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
• أن العمل بقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مبني على الاستيثاق من وجود
العامّة.

ثامنا: اعتبار القرآن يقعد به ولا يقعد له:

لأن التسليم بذلك أو عدمه سيظهر في ثنايا تفسير المفسر واتجاهه، فكم من مفسر
انقاد وراء اعتقاداته وأفكاره السابقة فوقع في الزلل، وأصبح يفرض نفسه على القرآن
ويفسره حسب هواه، ولهذا فلا بد للمفسر أن يقف من القرآن موقف المتلقي والمحكوم لا

الحاكم، وأن ينظر للقرآن على أنه الأصل الذي يُرجع إليه، فلا ينبغي أن يرجع المفسر لمذهبه ويجعل القرآن فرعاً.

تاسعا: الإسقاط على الواقع:

كان مما ميّز تفسير الشيخ إسقاطاته العجيبة على الواقع، ومن ذلك عند تفسيره قول الله تعالى: (وكل شيء عنده بمقدار). قال: "يعني اقرا وتعلم باش تستفيد وتتمتع وتفرح، المسلمين كانوا غافلين وما زالوا قالوا خلي هذه النصارى واليابان، احنا عندنا دراهم البترول، دراهم الضرائب، خلي الكفار يخدموا واحنا نشروا عليهم، نشروا عليهم حتى الشي لي ناكلوه ونداووا بيه يعني هوما ينتجوا وحنا ناكلوا والي يأكل أكثر من لي ينتج؛ هذا رايح لخسارة المحققة سواء فرد أو شعب أو دولة...".

عاشرا: توظيفه العلوم الحية:

ومن ذلك في تفسيره قوله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ) [النحل: 79] قال:- الطير لا يلد، ليس عنده مثانة، ليس عنده معدة (حوصلة)، لا يوجد عنده خرزات الظهر، ليس عنده جلد خشن، ليس عنده حوافر، صوف ولا شعر لأنها لا تساعده على الطيران. ثم قال: هذا يزيد المؤمن إيماننا وتوحيدا وطاعة.

2.3 المطلب الثالث: توظيفه اتجاهات التفسير المعاصرة

كان- يوظف الاتجاهات المعاصرة التي انتشرت بين المفسرين المعاصرين تدريسا أو تأليفا، ومن أشهرها: التفسير التحليلي، الموضوعي، المقارن، الإجمالي... وغيرها والناظر في التفسير الشفوي والمكتوب بخط يده يجد أنه قد جمع بين هذه الألوان الأربعة، ولكن الذي كان أكثر بروزا في تفسيره هو التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي.

1.2.3 الفرع الأول: التفسير الموضوعي

كان للتفسير الموضوعي الحظ الأوفر فيما اعتمده الشيخ، فكان- إذا استعرض موضوعا ما يأتي بالعديد من المواضع التي ذكر فيها هذا الموضوع، وسأكتفي بمثال واحد، وهو في تفسيره لسورة إبراهيم: عند قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) [إبراهيم: 42] أتى بأزيد من ثلاثين موضعا ذكر فيها الظلم: قال تعالى:

(فَلَا تَفْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: 68]

(قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [الأعراف: 47]

(وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [الأعراف:150]
 (رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [القصص: 21]
 (وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [التحریم:11]
 (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ) [الروم:57]
 (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ) [سبأ: 42].
 (وَمَا أُوهُمْ النَّارُ وَبُئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ) [آل عمران:151]
 (إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) [الشورى:45]
 (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [إبراهيم:22]
 (وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) [الفرقان:37]
 (وَوَقَعَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِمَا ظَلَمُوا) [النمل:85]
 (أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) [الصافات:22]
 (قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) [الأنبياء:14]
 (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [الزخرف:65]
 (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) [يونس:52]
 (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) [إبراهيم:13]
 (وَلَا تَرَدُّ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء:82]
 (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) [الحج:53]
 (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ) [البقرة:114]
 (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً) [البقرة:140]
 (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ) [الكهف:57]
 (وَمَنْ يَظْلِمْ مَنكُم نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) [الفرقان:19]
 ثم استخرج- الصيغ التي وردت بها كلمة الظلم: ظلم، ظلما، ظلمنا، ظلموا، ظالم،
 ظالمين، ظلمه، يظلم، أظلم...

2.2.3 الفرع الثاني: التفسير العقدي

لقد كان للشيخ- اهتماما بالغا في ترسيخه للعقيدة الصحيحة، فكان لا يمر على آيات التوحيد والعقيدة والإيمانيات إلا ويوقف عندها بالتنبيه، ومن ذلك عند تفسيره قول الله تعالى: (لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[النحل:79] قال:- الطير لا بلد، ليس عنده معدة (حويصلة)، ليس عنده مثانة، ليس عنده خرزات الظهر، ليس عنده جلد خشن، ليس عنده صوف ولا شعر ولا حوافر، وهذا ليسهل له الطيران، والمؤمن إذا علم هذا ازداد إيمانا وتوحيدا وطاعة.

4. خاتمة:

- في ختام هذا المقال نجمل بعض النتائج المتوصل إليها:
- للشيخ عبد القادر عثمانى جهد طيب في التفسير، كيف لا وقد أمضى 23 سنة وهو يفسره من خلال دروس الجمعة بمعنى أزيد 1104 مجلسا للتفسير.
 - يبدو أن الشيخ قد فسر القرآن الكريم كاملا، ولكننا لم نعثر عليه كاملا، بل عثرنا على سور: الإسراء، الكهف، مريم، طه، الانبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، الشعراء، القصص. وقد وقفنا على عبارة: "تم نصف القرآن".
 - يتبين من خلال منهج الشيخ في التفسير أنه كان يركّز على آيات التزكية أكثر من غيرها، ولم يكن يغرق في الأحكام الفقهية.
 - استفاد الشيخ- من طرائق العلماء في التفسير، فتجده بين التفسير التحليلي والموضوعي والعقدي وغيرها، وتجده لا يغفل عن الإسقاط على الواقع.
 - للشيخ طريقة مبسطة لا يوجد فيها تكلف في إيصال المعلومة للجميع من خلال استعمال الكلام الدارج على ألسنة الناس.
 - لم يخرج الشيخ- عما كان عليه سلف الأمة من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة، وانتفاعه بأقوال الصحابة والتابعين وتلاميذهم.
 - لطالما نبّه الشيخ- إلى أن هذا القرآن هو منهج حياة، وأنه أنزل ليحكمكم به وإليه.
 - وإنّا بعد هذا الجهد العلمي نوصي كل من حضر دروس الشيخ أن يفيدنا بما سمع، فإنّ ما توفر لنا من تفسير كانت أوراقا بها رؤوس أقلام.

5.الهوامش والإحالات:

1 المفروض-منهجيا-أن يُقدّم لكل واحد من هؤلاء الأعلام المفسّرين ترجمة تعريفية موجزة-على الأقل-، غير أنّ ضيق المجال حال دون ذلك، فاكفينا بالإحالة إلى المصادر والمراجع التي تناولت تراجمهم لمن أراد التوسع.

- 2 ينظر: البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم التلمساني، تحقق: عبد القادر بوباية، دار العلمية، بيروت، ط1، 2014م، ص118. آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، 163/5-164.
- 3 ينظر: طبقات الحضيف، تح: أحمد بومزكو، الطبعة: 1، 2006م، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 536/2، فهارس علماء المغرب، عبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب، تطوان، 1999م، ص62.
- 4 ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 1/ 161.
- 5 ينظر: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، 108/1.
- 6 ينظر: آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، 252/2.
- 7 ينظر: أعلام الإصلاح من عام 1921م إلى عام 1975م، محمد علي دبوز، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، 44/2.
- 8 ينظر: مقال بعنوان محمد البشير الإبراهيمي، خالد النجار، منشور على موقع الألوكة، ص7، على الرابط التالي:
- <https://www.alukah.net/culture/0/44043/>
- 9 ينظر: مقدمة في رحاب القرآن، مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، اختصره ورتبه وأشرف عليه الشيخ الناصر بن محمد المرموري، ط1، 1417هـ، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة.
- 10 ينظر: ترجمته على موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، بقلم الأستاذ: عبد الحليم صيد، 2018/12/15، على الرابط التالي:
- <https://shamela-dz.net/?p=1336>
- 11 ينظر: ترجمته على موقع المسجد الكبير العتيق الإياضي، بقلمه، 2024/09/21، على الرابط التالي: <https://tagherdayt.com/>
- 12 ينظر: مقال بعنوان الشيخ عبد الرحمن شيبان ومنهجه في تفسير القرآن الكريم من خلال دروسه المسجدية، قادري محمد الصديق، مجلة المعيار، المجلد 22، العدد 2: 2018، الصفحة 147-162.
- 13 ينظر: مقال بعنوان الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسر، المسعود جمادي، مجلة الإحياء، المجلد 19، العدد 22: سبتمبر 2022، الصفحة 627.

- 14 ينظر: مقال بعنوان المفسرون الجزائريون الذين ختموا تفسير القرآن الكريم شفهيًا، منير زيباني، منشور بمجلة مجلة الحضارة الإسلامية، عدد1: جوان 2022م، ص25.
- 15 ينظر: ترجمته على موقع المكتبة الجزائرية الشاملة، بقلم الأستاذ: محمدي مصطفى بن عمر، 2017/9/9، على الرابط التالي: <https://shamela-dz.net/?p=638>
- 16 استفدنا ترجمته من مخالطتنا الشخصية به، ومن كتاب (جواهر المعاني وبلوغ الأمان في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر عثمانى)، لعبد القادر بومعزة. ومن دورية صادرة عن المجلس الشعبي الولائي لولاية بسكرة بعنوان: السيرة العطرة لفضيلة الشيخ عبد القادر عثمانى.
- 17 وقد قصدنا سيدي سعد عثمانى (ابنه) لنسأله عن كيفية تحضير الشيخ للدروس وماهي مصادره ومراجعته، فأفادنا-حفظه الله-بأوراق قمنا بترتيبها على سور القرآن، وهي قرابة 750 صفحة بخط يده.
- 18 وفرق بين قولنا بـ(السنة) وقولنا بـ(صحيح السنة)، إذ يكاد يتفق المفسرون على مصدريّة السنة في التفسير، لكنهم اختلفوا في تنزيل ذلك وتطبيقه بين متوسّع في ذلك، وآخر ملتزم بالصحة في الاحتجاج بالسنة في التفسير، خذ على سبيل المثال لذلك الفرق بين تفسير الدر المنثور للسيوطي، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ولا يخفى عليك الفرق حينئذ.